

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب

ألوصف والموصوف

دراسة للوصف في الشعر الجاهلي

رسالة تقدم بها الطالب

حيدر عبد كاظم سلطان الجبوري

إلى مجلس كلية الآداب / الجامعة المستنصرية
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.م.د. إزدهار عبد الرزاق التميمي

٢٠٠٦ م

١٤٢٧ هـ

الخاتمة

تناول البحث موضوعة الوصف في الشعر الجاهلي وأسبابه وأنواعه والعلاقة بين الواصف والموصوف من حيث دلالة الخطاب والصورة بينهما ، أما أهم النتائج التي توصل إليها فهي :

١. ألوصف فطرة لازمت طبيعة الإنسان والشاعر الجاهلي في بحثه عن الجمال وسر الوجود واكتشاف نواميس الحياة حين يسرح بين الأرض والسماء وما فيهما من أشكال الوجود والحياة أو حين يحاول أن يعبر عن الأفكار والمعاني التي يجيش بها صدره وخاطره وعقله .
٢. إن الوصف قائم على الإنفعال والعواطف والتأثر الفوري سواء أكان بين الشاعر الجاهلي أم المتلقي .
٣. إن الشعر والوصف كانا أداة تدخل للشاعر الجاهلي ليعبث في نفسه الأمان والتوازن إثباتا لذاته بإطاري الزمان والمكان .
٤. ألوصف لدى الجاهلي أسلوب أعطاه القدرة على تكوين الصور والدلالات والمعاني والرموز بصورة مباشرة أو غير مباشرة وأحيانا بالرمز والتأويل .
٥. نظر الشاعر الجاهلي إلى الوصف كنوع من الحقيقة المترابطة المتكاملة الأجزاء فالقصيدة دارت مواضيعها وتعددت لوحاتها لأنها تمثل الشعور الداخلي الصادق لإنسان العصر وعليه فإن الوصف حقيقة معرفية مرتبطة بصدق الشاعر الجاهلي عند تفسيره للوجود أو لعواطفه .
٦. بالرغم من تعدد الموضوعات التي تناولها البحث والجوانب المختلفة التي تطرق إليها إلا أنها في شكلها العام قد شكلت نوعا من الوحدة الفنية والموضوعية والتي كان الوصف سببا في جعلها تتمثل هذه الوحدة عن طريق الربط بين الفكرة واللغة ومن ثم الصورة المتشكلة مع إيقاعها وجرسها .
٧. إن الوصف في الشعر الجاهلي ورد على نوعين : الأول : هو الوصف التجريدي الخارجي للأشكال والهيئات عن طريق البحث عن ميزة عامة مشتركة يستطيع الشاعر أن ينسجم معها ويشعر بالتوازن ، لهذا جاء وصفه

معتمدا على الأجزاء الخارجية للأشياء ولا نكاد نشعر بصوته بل هو يتكلم متخفيا ونراه مندمجا مع ألوان الوجود والحياة ، فكان وهو يصف بصورة تجريدية واصفا خفيا يشير إلى أجزاء الوجود وهو فيه من غير إشارة إلى نفسه .

٨. أوصف التجريدي المادي المحسوس وجد عند الشاعر نتيجة ظروف الصحراء القاسية والفاء والموت الذي يدور فيها ، فهو لم يكن يبقي على شيء وإن اختلفت أسبابه فكأن الضياع الذي يحس به الجاهلي في الصحراء الدافع نحو المشاركة والاندماج مع الموجودات عن طريق أوصافها الخارجية ومن ثم إبرازها للشاعرة بالفقد والتيه .

٩. إن الشاعر الجاهلي حين يعتمد على الوصف الخارجي ويميل إليه فهو في الحقيقة قاصر عن إدراك التصوير الشعوري أو تمثيل الشعور عن طريق الخيال ومن ثم إبرازه على سطح القصيدة ، فطبيعة عقل الجاهلي البدائية غير قادرة على تكوين فكرة معنوية مجردة لذلك نراه يميل إلى الصورة الخارجية للشيء المراد وصفه أو يميل إلى الشكل النهائي للصورة ليبرز ما يدور في صدره وخاطره وهذا ما نلمحه في القصائد الطوال - من على شاكلة المعلمات - ومن مجموع الأشكال النهائية للصور والأغراض واللوحات يصل إلى المراد ليخبر عنه .

١٠. إن الوصف الخارجي التجريدي يدل على عاطفة قوية لدى الشاعر الجاهلي حيث إنه يميل إلى إشراك أكبر قدر من الصور المتخلفة للوجود في صورته ووصفه وهذا دليل الميل نحو الحب والتشارك والتعاطف .

١١. أوصف التجريدي يدل على صدق التعبير لدى الشاعر الجاهلي لأنه وصف واقع تحت ما يتداوله من المحسوسات والماديات وهذا التأثر بالمادة والحس يتأتى من التعبير الفوري الآني الواقع تحت الإنفعال المباشر - كما في الطلل - فهو تأثر وانفعال ونتاج شعري وليد اللحظة .

١٢ . إن عدم القدرة لدى الشاعر الجاهلي على ترجمة شعوره في شكل معان وجدانية ذات طبيعة شاعرية معتمدة على الخيال غلب الوصف التجريدي المادي في الكثير من أوصافه لأنه وصف اعتمد على النفس المتأثرة بالطبيعة والواقع وهذا شمل الأفكار المعنوية والروحية المجردة كالجمال ، والصبر ، والخوف ، والقوة ، والحزن ، وغير ذلك .

١٣ . ليس الوصف التجريدي نوعا من النسخ والمحاكاة الحرفية الصرف فهو وإن كان كذلك إلا انه يصدر عن نفس ووجدان متقد متأثر إنساني يبحث عن فجوة ومخرج يسلط عليه مشاعره فكان أن اتجه إلى الخارج والشكل الخارجي لأنه نوع من التضخيم والإختزال للأشكال والمسافات والأزمنة والأمكنة وكأنما هو استعادة له وجمع لأطرافه إثباتا لذات مضطربة قلقة من غير ابتداع لواقع جديد خارج إطار وزمان ومكان الشاعر لذلك تأتي القصيدة الواحدة وكأنها متحف طبيعي تشاهد فيه ألوان الحياة والوجود في صورة ومكان واحد .

١٤ . ألوصف التجريدي في بحثه عن الشكل الخارجي لم يتغافل عن حيثيات الصورة والشكل المنقول عنه واليه كاللون ، والسرعة ، والهيئة ، والحجم ، وغير ذلك لأن الشاعر كان واعيا بقدرة هذه حيثيات على إبراز أكبر قدر من المعنى الذي يدور في داخله عن طريق الصورة الخارجية وما يتعلق بها .

١٥ . إن محاولة التغلغل والتشارك مع الأشياء بحثا عن التوازن والإندماج أدى إلى التداخل ما بين جميع أنواع الوجود في الصورة الشعرية الخارجية ، لذلك نلمح في موضوعات الوصف الخارجي التداخل الكبير بين ما هو حي وميت من أجزاء الوجود بين الإنسان والحيوان والطير والحشرة والزواحف والجبال والأشجار والنبات والمطر والغيم والرياح ومواطن المياه وعدة الحرب .

١٦ . إن كل ملمح من ملامح وأغراض الوصف الخارجي هو الأنموذج الأسمى الذي يحمل الذات العليا لدى الجاهلي في بحثه عن المثال والخلود للنفس البدائية الجاهلية الباحثة عن الإستقرار والتوازن .

١٧. أما النوع الثاني : فهو الوصف الوجداني وهو وصف تأثر بصورة كبيرة بحيثيات وظروف الصحراء القاسية التي عاش فيها الشاعر الجاهلي حيث صعوبة العيش والمقام والتنقل الدائم بحثا عن الطعام والشراب وما يترتب على هذا التنقل من مخاطر الحروب والقتال المستمر والدائم ، فعوامل الفناء أمام أنظار الإنسان الجاهلي هي أكثر من عوامل البقاء أكان من الناحية الجسدية أو من ناحية الوجود والطبيعة ومن ثم الصراع الإنساني .

١٨. ألوصف الوجداني مثل ميل الإنسان إلى إظهار أكبر قدر من صفات الثناء والإعجاب والإكبار في الوقت نفسه الذي أراد منه الشاعر إبراز الضد من هذه الصفات لغيره .

١٩. إن الوصف الوجداني نوع من المعادل الموضوعي والذاتي الإجتماعي الذي حاول من خلاله الشاعر إبراز نفسه في فيافي الصحراء باختلاف الأساليب والأغراض الشعرية التي سلكها إبرازا لما يريد أو وصفا لمشاعره .

٢٠. كل ما تطرق إليه الشاعر الجاهلي في الوصف الوجداني يمثل صوت الشاعر العالي الذي يجب إيصاله إلى الغير ويجب أن يسمعه غيره ، إنه نوع من الظهور والبروز لذلك يظهر صوت الشاعر هنا واضحا غير متخفيا وراء الصور والأشكال الخارجية كما في الوصف التجريدي .

٢١. ألوصف الوجداني لم يكن نزقا وهوائية ولهوا بل هو حاجة فعلية نابعة من ظروف الصحراء القاهرة سعى إليه الشاعر الجاهلي كي يحقق لنفسه التوازن والشعور بالأمن الذي يبحث عنه في مجتمع تسوده العداوة والتخلخل والقلق من مستوى الفرد إلى القبيلة فالمجتمع .

٢٢. إن ظروف الصحراء جعلت البحث عن الأمن مرتبط بالجماعة ، فالفرد غير قادر لوحده أن يعيش في مجاهل الصحراء بل أنه يحتاج إلى الجماعة في كل وقت وهذا السبب جعل من الشاعر أداة بيد قبيلته ، فكان الوصف الوجداني وما ارتبط به من شعر وأغراض شعرية سلاح القبيلة التي جعلت من الفرد – الشاعر – أداة طيعة بيدها يجب عليه إطاعة أوامرها ونواهيها وإلا تعرض

للطرد والخلع وهذا ما ترتب عليه إن عاش الشاعر في ازدواجية الذات الباحثة عن الظهور والذات الواقعة تحت رحمة القبيلة ، فجاء شعره ووصفه الوجداني بهذه الحال نوعا من التمازج والاندماج الذي حمل معنى الضد في الكثير من الموضوعات والصور والأوصاف .

٢٣ . أوصف الوجداني اعتمد في أكثر صورته على الجانب الأخلاقي ، فإذا كان الوصف التجريدي يعتمد على المشاركة والاندماج فإن الوصف الوجداني اعتمد على إبراز الأخلاق التي يختلف فيها الإنسان عن الغير ، فلكي يبرز الجاهلي في عصره كان لابد عليه أن يختلف عن الغير من حيث أخلاق وصفات القوة والكرم والمروءة والشجاعة والكثرة وما شابه ذلك ، وعليه فإن الوصف الوجداني أحيانا يمثل نوعا من الإذاعة الإعلامية التي تنتشر فضائل القبيلة مثلما تظهر مثالب الغير وتقذح فيها .

٢٤ . أوصف الوجداني مسألة تعويضية نابعة من حاجة الجاهلي إلى رفع شخصيته الملحة والمتقلبة في داخله نحو عوامل الصحراء وظروفها القاهرة على مستوى القبيلة والمجتمع بصورة عامة .

٢٥ . إن الوصف الوجداني شمل جميع الأغراض الوجدانية بل لنقل إنه كان أساس الأغراض الشعرية ، فهو عليها يقوم وبها ارتبط اسمه كالغزل والفخر والحماسة والمدح والعتاب والإعتذار والهجاء والرثاء ، فهذه كلها أسماء لأغراض واقعة تحت تأثير الشعور وما به من انفعال في حينه ، لذلك جعل الشعراء من هذه الأغراض سبيل للكشف عن خواطرهم وأحاسيسهم وميولهم النفسية مما انعكس بالطبع على الوصف الوجداني وصورته التي أراد الشاعر إظهار عواطفه وانفعالاته بها ، وعليه فإن كل غرض من أغراض الوصف الوجداني حمل معه معادلا موضوعيا أراد الشاعر إظهاره ، فالمرأة في الغزل معادل موضوعي ، والقوة والسيوف في الفخر كذلك ، والعاطفة الرقيقة في المدح معادل موضوعي كما السخط والغضب في الهجاء ، فهي جميعها تصب

في نهر واحد وإن اختلفت في دلالاتها ، فالمعادل الموضوعي شعار الجاهلي المساوي لشعوره بالوجود وتميزه عن الآخرين .

٢٦ . تميز الوصف بنوعيه الوجداني والتجريدي بعدة صفات منها : إن لغة وصورة الوصف جاءت معبرة عن أحوال العصر وأهله وأن لغة العصر التي اعتمدها الشعراء في أوصافهم جاءت مناسبة للمعنى والصورة التي تدور في أذهانهم ، فكانت وضعية للعصر يتبعها بعد ذلك الوصف كونه ناتج عن هذه اللغة مولود من رحمها ، وكذلك اعتمد الشاعر في وصفه على الألفاظ والعبارات المشتقة من بيئته الصحراوية وبساطتها وابتعادها عن التكلف ، ومن مميزات الوصف الجاهلي الميل إلى الإيجاز ، لذلك جاءت العبارة الشعرية قصيرة مبتعدة عن الإطالة ، ومن خصائصه أيضا الإستطراد والانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة الواحدة ومن ثم إشراك أكبر قدر من الموصوفات في موضوع واحدة وخاصة في الوصف التجريدي مما ولد سمة أخرى من سمات الوصف الجاهلي ألا وهي سمة الذاتية التي تخللته وبعثت الحياة في جميع ألوان وأشكال الصور الوصفية التي أخذها من الوجود ، فكأن الشاعر بذاتيته بعض لا ينفصل من موجودات الحياة ، ولعلنا لا نغفل سمة مهمة من سمات الوصف الجاهلي وهي اتخاذ الشاعر من اللفظ والعبارة المرتبطة بالإيقاع والصور والرموز الطريق والواسطة من أجل بيان ما يريد وإيصاله إلى المستمع المتلقي .

٢٧ . إن الوصف الجاهلي اعتمد على إقامة الصلة الوثيقة والعلاقة الوصفية بين الواصف والموصوف لإبراز أكبر قدر من الإندماج والتآلف والإنسجام بين أطراف الغرض الشعري والصورة النهائية عن طريق ربط الصلة ما بين لغة القصيدة وإيقاعها وبين الصور والرموز التي تقع تحت تأثير الأغراض الشعرية المختلفة .

٢٨ . العلاقة القائمة بين الواصف والموصوف والمستندة إلى اللفظ والإيقاع والجرس وتأثيرها في أسلوب الخطاب فالمتلقي كانت تقع تحت الخصائص الذاتية لكل شاعر وموقفه الذي يحاول اكتشافه وتأمله من خلال اللغة وإيقاعها اعتمادا على

الطبع والفطرة والإبتعاد عن المغالاة والتعقيد ومن ثم جعل اللغة الشعرية من بعد ذلك مستوحاة من طبيعة الصحراء التي يعيش فيها ، فاللغة واللفظ ورشاقة التعبير والإيقاع الموسيقي وجرسه كلها كانت تحاكي حياة الشاعر التي حوله لابساً إياها ما يعانیه من حالات الرضا أو السخط أو الفرح أو الحزن أو الغضب ، مما أتبع اختلاف الموضوع والغرض الذي تعالجه القصيدة ووصفها باختلاف الأسلوب الشعري وبالتالي إلباس الوصف والنظم الشعري اللغة والإيقاع اللتين تتمثلانه .

٢٩ . إن الشاعر كان حريصاً كل الحرص بطبعه وسليقته على إشباع التأثر الآني بنغمته وجرسه من أجل إثارة عواطف المتلقي وعقله وصولاً إلى القصد والدلالة المراد إيضاحها .

٣٠ . لغة وخطاب الشاعر الجاهلي والوصف الذي تبعها تأثرت بمجمل العلاقات التي وقع تحت وطأتها مع المجتمع بما شكلت من انعكاسات نفسية أثرت في أسلوب النتاج الشعري ودلالاته وتوجهه ضمن الأفكار وبواعث النظم .

٣١ . لغة وخطاب القصيدة حددا درجة العلاقة بين الواصف وموصوفه المادي والمعنوي وطريقة الإرتباط ووساطتها ، كما حدد العلاقة بين طرفي الخطاب – المتكلم والمتلقي – من خلال الألفاظ والتعبير والإيقاع التي يفهم من خلالها السياق ودلالاته ومعناه وغرض الشاعر .

٣٢ . إن جزءاً مهماً من الرسالة الشعرية يقع على الخطاب الشعري ولغته ومن ثم بحر الشعري ووزنه ونغمته كونها الهاديات التي تفسر طبيعة الخطاب وتوجهه فضلاً عن دورها التأثيري الفوري على المتلقي والسامع .

٣٣ . لغة الشاعر وخطابه مرتبطة ارتباطاً كبيراً بحالة الشاعر النفسية فهي التي تشكل طبيعة النظم الشعري الفطري وإيقاعه .

٣٤ . العلاقة القائمة الواصف والموصوف المستندة إلى الصورة علاقة متفاعلة فهي تفسر الكثير من حياة الإنسان الجاهلي وعصره لأنها نوع من الكشف عن نوااميس وحقائق الحياة فيه ومحاولة للإندماج مع الوجود والطبيعة .

٣٥ . إعتد الشاعر الجاهلي وعن طريق علاقة الواصف والموصوف بالصورة إلى إحداث الإنسجام والتآلف بين عناصر مادته المتكونة والواقع المنقولة عنه .

٣٦ . إن الصورة وعلاقتها بالواصف والموصوف لم تكن من قبيل النسخ أو المدركات أو النقل الحرفي إنما هي إعادة تشكيل وإظهار للإحساس ليمزج في علاقات مادية معنوية لا توجد خارج الصورة ، فالصورة هي البودقة التي حملت فكر الشاعر والتأثر الذي أوضح من خلاله ما يريد عن طريق ذلك التشكيل الصوري .

٣٧ . أشاعر سعى عن طريق العلاقة الصورية إلى إثارة ذهن المتلقي بوساطة الأحاسيس التي تمازج تلك الصور المتأتية من الربط المعنوي الدلالي المتطور إلى المادي ، فالصورة مرحلة من مراحل إبراز الشعور حتى يدركه الآخرون ، فهي تجسيم له في أشكال محسوسة تدرك عن طريق العقل والمخيلة .

٣٨ . ألصورة وعلاقتها الوصفية وسيلة ناجعة لإعطاء الدلالة القدرة في سعيها نحو المتلقي كونها الوسيط أو المرحلة المتطورة والمتوالدة لبيان الحقائق والكشف عن خفايا الإنسان الجاهلي والتعرف عليها .

٣٩ . ألعلاقة الوصفية الصورية بين الواصف والموصوف دارت حول عدة أمور منها : علاقة الصور بالأغراض الشعرية ، وعلاقتها بالمواضيع ذات الوصف الخارجي كونها وسيلة الإندماج والتوازن عن طريقها يفهم معنى النظم الشعري الذي يريده الشاعر . وأخيرا الصورة كرمز وقناع وإسقاط للشاعر أراد به الوصول إلى مراده .

٤٠ . للصورة الشعرية معنيان : المعنى الأول : هو المعنى الظاهر الذي يأتي به الشاعر عن طريق التشبيهات والمقارنة والمقابلة وغير ذلك ، إضافة إلى المعنى الثانوي المستند إلى الاستطراد وخاصة في القصائد الطوال ، فبالمعنى الأول تحدد هوية وأغراض ولوحات القصيدة وصولا إلى البناء الفني ، أما في المعنى الثانوي فتحدد الصورة الكلية المتأولة من جمع صور اللوحات ودلالاتها لتصهر في المعنى النهائي الذي سعى إليه الشاعر .

٤١ . إن العلاقة بين الوصف والموصوف تحددت بلغة وصورة الغرض الشعري فلا يمكن إغفال جانب اللغة والإيقاع والإعتماد على الصورة والعكس صحيح ، فهما متحدان يكمل كل منهما الآخر ولا يمكن أن تفهم الدلالة الشعرية من دونهما ، فالصورة تتحرك وتتماوج وتضطرب وتبعث الحزن أو الفرح وغير ذلك استنادا إلى لغتها التي تبعث فيها الحياة .

٤٢ . أوصف حقيقة معرفية مستندة إلى اللغة والصورة به يستطيع الشاعر أن يصور إحساسه وبه يثار عقل المتلقي وهو الطريقة التي تحمل معها كل نوااميس الحياة وقوانينها وتفكير الإنسان وفلسفته وألوان تفكيره وطرق عيشه ، فمن غير الوصف لا يمكن للشعر أن يكون أو يقوم له مقام بل وغير الشعر كذلك لأنه عن طريق الوصف يرسم ما يريد ويفصح عما يختلج في نفسه في علاقة متبادلة بينه وبين الوجود وموجوداته واختزال كامل للزمان والمكان وتجاوز لمادية الكون وحرفيته وقوانينه فهو اتحاد ما بين المادة والمعنى مجسم باللغة والصورة .